

258224 - هل طلب العلم وتعلمه من الطرق الموصلة إلى جنة الفردوس؟

السؤال

ذكرتم في أرقام الفتاوى التالية: (135085)، و: (126349) عن جنة الفردوس، وعن أهمية العمل، وكلما عمل الإنسان في حياته أكثر، وتسابق في الخيرات وصل إلى جنة الفردوس، وقد ذكرتم بعض الأعمال التي توصل إلى جنة الفردوس، وتتكلتم كثيراً، لكن لم تتكلموا عن فضل العلماء، وأهل العلم، وطلب العلم، أليس طلب العلم أفضل من العبادة، وأن العلماء مجمعون على أن فضل العلم مقدم على العبادة؟ فلم تذكروا أن طلب العلم من الأسباب لدخول لجنة الفردوس فهل هو كذلك؟ وإن الآيات، والأحاديث، وأقوال السلف التي وردت في أهمية طلب العلم لم ترد في غيره من الأعمال، فأنا طالب علم فهل إذا تعلمت بقدر الاستطاعة، وعملت بما أعلم، وأكثرت من النوافل، وعملت وبكل ما أعلم بقدر الاستطاعة، ودعوت إليه هل سيكون لي أمل كبير في دخول جنة الفردوس؟ فهذا جل ما يمكن للإنسان فعله، ولا أعلم عملاً أفضل من طلب العلم، والدعوة إليه، وكذلك العمل به، فهل هناك عمل أفضل من هذا؟ فأنا طالب علم، وسأقرأ، وأتعلم، وأعمل بما أعلم من نوافل، وطاعات، وواجبات، وترك المنهيات من البدع والمكرهات، والمحرمات، وأدعو إليه بقدر الاستطاعة، فهل هذا كافي لدخول جنة الفردوس؟

الإجابة المفصلة

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ، وَأَقَامَ الصَّلَاةَ، وَصَامَ رَمَضَانَ كَانَ خَصًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، جَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ التَّيْنِ وُلِدَ فِيهَا).

فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَفَلَا تُبَشِّرُ النَّاسَ؟

قَالَ: إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مَائَةَ دَرَجَةً، أَعْدَهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ، فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ - أَرَاهُ قَال: وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ - وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ) رواه البخاري (2790).

فالوحى أمر جميع المسلمين، المجاهدين وغير المجاهدين، بسؤال الله تعالى جنة الفردوس.

وهذه اشارة واضحة إلى أن الدخول إلى جنة الفردوس ممكن لجميع المسلمين إذا قاموا بتحقيق شروطها، من الإيمان والعمل الصالح.

قال الحافظ ابن حجر رحمة الله تعالى:

”وفي الحديث فضيلة ظاهرة للمجاهدين، وفيه عظم الجنة، وعظم الفردوس منها.

وفيه إشارة إلى أن درجة المجاهد قد ينالها غير المجاهد، إما بالنية الخالصة، أو بما يوازيه من الأعمال الصالحة؛ لأنه صلى الله عليه وسلم أمر الجميع بالدعاء بالفردوس، بعد أن أعلمهم أنه أعد للمجاهدين، وقيل فيه جواز الدعاء بما لا يحصل للداعي لما ذكرته، والأول

أولى والله أعلم ”انتهى من“فتح الباري“ (13 / 6).

وهذا الذي تدل عليه ظواهر نصوص القرآن الكريم .

قال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانُوا لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نَزَّلَهُمْ) الكهف / 107.

قال الطبرى رحمه الله تعالى :

”يقول تعالى ذكره: إن الذين صدوا بالله ورسله، وأقرروا بتوحيد الله وما أنزل من كتبه، وعملوا بطاعته، كانت لهم بساتين الفردوس

...

واختلف أهل التأويل في معنى الفردوس ...

والصواب من القول في ذلك عندنا، ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وذلك ما حدثنا به أحمد بن أبي سريح، قال: ثنا يزيد بن هارون، قال: أخبرنا همام بن يحيى، قال: ثنا زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن عبادة بن الصامت، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (الجنة مائة درجة، ما بين كل درجتين مسيرة عام، والفردوس أغلاها درجة، ومنها الأنهار الأربع، والفردوس من فوقيها، فإذا سألتم الله فاسأله الفردوس) ”انتهى من“ تفسير الطبرى“ (15 / 430 - 433).

وقال الله تعالى :

(قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ، الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ حَاسِعُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ الْغُوَّ مُعْرِضُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ لِلرُّوْجِهِمْ حَافِظُونَ، إِلَّا عَلَى أَرْوَاحِهِمْ أَوْ مَا مَلَكُثْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ، فَمَنِ ابْتَغَ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْغَادُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاغُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ، أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ، الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) المؤمنون (11).

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله تعالى :

”ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أن المؤمنين المتصفين بالصفات التي قدمنا لهم الوارثون، وحذف مفعول اسم الفاعل الذي هو الوارثون؛ دلالة قوله: (الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ) عليه. والفردوس: أعلى الجنة، وأوسطها، ومنه تفجر أنهار الجنة، وفوقه عرش الرحمن جل وعلا“ انتهى. ”أضواء البيان“ (5 / 848).

ولكن إذا علمنا أن أهل الإيمان والعمل الصالح يتفضلون في درجات الجنات؛ فيلزم من هذا أن الإيمان والعمل الصالح الذي جعله الله تعالى سببا لنيل الفردوس الذي هو أعلى الجنة، هو الإيمان الذي بلغ الذروة في اليقين ، والعمل الصالح الذي بلغ الذروة في الإخلاص والصواب .

قال القرطبي رحمة الله تعالى :

” روى مسلم عن سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدري الغائر في الأفق من المشرق أو المغرب، لتفاصل ما بينهم، قالوا : يا رسول الله ! تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم ؟ قال: بل والذى نفسي بيده، رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين) ... ”

وقوله: (والذى نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين) ولم يذكر عملاً ولا شيئاً سوى الإيمان والتصديق للمرسلين، وذلك ليعلم أنه عنى الإيمان البالغ، وتصديق المرسلين من غير سؤال آية ولا تجلجح، ولا فكيف تناول الغرفات بالإيمان والتصديق الذي للعامة ولو كان كذلك كان جميع الموحدين في أعلى الدرجات وأرفع الغرفات، وهذا محال، وقد قال الله تعالى: (أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْفَرَقَةَ بِمَا صَبَرُوا) .

والصبر: بذل النفس والثبات له وقوفاً بين يديه بالقلوب عبودية، وهذه صفة المقربين.

وقال في آية أخرى: (وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقْرِبُكُمْ عِنْدَنَا رُلْقَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الْصُّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ) فذكر شأن الغرفة وأنها لا تناول بالأموال والأولاد، وإنما تناول بالإيمان والعمل الصالح، ثم بين لهم جزاء الضعف وأن محلهم الغرفات، يعلمك أن هذا إيمان طمأنينة، وتعلق قلب مطمئناً به في كل ما نابه، وبجميع أموره وأحكامه، فإذا عمل عملاً صالحاً فلا يخلطه بضده وهو الفاسد.

فلا يكون العمل الصالح الذي لا يشوبه فساد، إلا مع إيمان بالغ مطمئن صاحبه بمن آمن، وبجميع أموره وأحكامه، والمخلط ليس إيمانه وعمله هكذا؛ فلهذا كانت منزلته دون غيره ”انتهى من ”الذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة“ (ص 963 - 966) .

فالحاصل؛ أن طالب العلم إذا قام بالواجبات على الوجه المطلوب شرعاً، واجتهد في النوافل، واتقى المحرمات، وعمر أوقاته بطلب العلم الصحيح وتعليمه بأخلاص وصدق، وكان بين كل ذلك يسأل الله تعالى الفردوس، فهو من يرجى له أن ينال الفردوس بفضل الله تعالى .

خاصة وأن العلم الصحيح الخالص لوجه الله تعالى، يختص بأنه باب للدرجات العلي في الجنة من عدة أوجه :

الوجه الأول :

أن أهل العلم الصحيح المخلصين فيه ترفع درجاتهم بهذا العلم .

قال الله تعالى :

(يَرْفَعُ اللَّهُ الْأَذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ حَبِيرٌ) المجادلة / 11 .

ومن ذلك ما جاء في حديث عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يقال لصاحب القرآن: أقرأ، وارتق، ورثّل كما كنت ثرثّل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها) رواه أبو داود (2914) والترمذني (1464) وقال: "هذا حديث حسن صحيح". وصححه الألباني في "صحيح أبي داود".

الوجه الثاني :

العلم باب ووسيلة لتحقيق مرتبة الصديقية التي هي أعلى مراتب أهل الإيمان بعد مرتبة النبوة.

قال ابن القيم رحمة الله تعالى :

"فأما مراتب الكمال فأربع: النبوة، والصديقية، والشهادة، والولاية، وقد ذكرها الله سبحانه في قوله تعالى: (وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسْنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا، ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلَيْمًا).

وذكر تعالى هؤلاء الأربع في سورة الحديد؛ فذكر تعالى الإيمان به وبرسوله، ثم ندب المؤمنين إلى أن تخشع قلوبهم لكتابه ووحيه، ثم ذكر مراتب الخالق شقيهم وسعيدهم؛ فقال: (إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدَّقَاتِ وَأَفْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ، وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّدِيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ أَجْرُهُمْ وَتُؤْرُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ).

وذكر المنافقين قبل ذلك . فاستواعت هذه الآية اقسام العباد ، شقيهم وسعيدهم .

والمقصود أنه ذكر فيها المراتب الاربعة: الرسالة، والصديقية، والشهادة، والولاية.

فأعلى هذه المراتب: النبوة والرسالة.

وilyها: الصديقية؛ فالصديقون هم أئمة اتباع الرسول، ودرجتهم أعلى الدرجات بعد النبوة...

والصديقية هي كمال الإيمان بما جاء به الرسول، علماً وتصديقاً وقياماً به؛ فهي راجعة إلى نفس العلم، فكل من كان أعلم بما جاء به الرسول ، وأكمل تصديقا له : كان أتم صديقية .

فالصديقية : شجرة ؛ أصولها العلم، وفروعها التصديق، وثمرتها العمل "انتهى من "مفتاح دار السعادة" (1 / 222 - 223).

الوجه الثالث :

طالب العلم المعلم له بإخلاص وصدق يلحقه أجر عظيم لا ينقطع بموته .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: (إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةِ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ) رواه مسلم (1631).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: (مَنْ دَعَاهُ إِلَى هُدَىٰ، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أَجْوَرِ مَنْ تَبَعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أَجْوَرِهِمْ شَيْئًا ...) رواه مسلم (2674).

وَاللَّهُ أَعْلَمُ.